ويفترض الناقد د. الهواري أن مثل هذا البطل موجود في الرواية العربية لأن الظروف نفسها التي أوجدت البطل البيروني توجد أيضاً في العالم العربي. وهنا يحاول تحليل واقع البرجوازية العربية، مستخدماً في ذلك الأدوات المنهجية الاجتماعية التي أعلن عنها في المقدمة، متحدثاً عن البرجوازية المصرية والمصالح التي تكونت لها في مواجهة الاقطاعية التي كان يقوم عليها النظام المملوكي. (ص: 64) ونظراً لأن البرجوازية تبنت الفكرة القومية بسبب تأثير الفكر الليبرالي ممثلاً في آراء لطفي السيد فإنها كانت مدفوعة إلى البحث عن البطل(ص: 65 - 66)، وقد جاءت بعض الروايات تعبيراً عن أثر الفكر الليبرالي هذا، لأنها أعطتنا أيضاً صورة للبطل البيروني. ومن هذه الروايات «زينب» لمحمد حسين هيكل، و«إبراهيم الكاتب» للمازني (ص: 69).

● **افتقاد البطل**: هل يصح أن نتحدث هنا عن مفهوم للبطل، في الوقت الذي نتحدث فيه عن لحظة طلب البطل أو البحث عن بطل؟ ذلك أن الناقد قد أصر على اعتبار هذا العنوان مشيراً إلى مرحلة ما قبل ظهور البطل البيروني في الرواية العربية. وقد قدم مثالين عن مرحلة افتقاد البطل: رواية «عذراء دنشواي» لمحمود طاهر حقي، ورواية «عودة الروح» لتوفيق الحكيم، وقد بين من خلال التحليل المبتسر للرواية الأولى أنها تخلو من البطل الفرد (ص: 78 - 80). غير أنه عندما تناول النموذج الثاني قدم الدليل على عدم تمثله لفكرة افتقاد البطل التي وضعها كعنوان يحدد نوعاً روائياً عربياً. ذلك أنه يثبت من ناحية أن الرواية تحوي بطلاً فرداً هو محسن، ولكنه يهمله فيعتبر الشعب هو البطل الحقيقي، وقبل ذلك كله يعتبر الشعب في تطلعه إلى «سعد زغلول» قد خلق بطلاً جديداً للرواية وهكذا تقدِّمُ لنا الرواية التي يفترض الناقد منذ البداية أنها تخلو من البطل، أشكالاً متعددة من الأبطال، ولنتأمل كلام الناقد في هذا الصدد:

«تُعَدُّ «عودة الروح» دالّةً اجتماعية على صعود البرجوازية المصرية، وبشيراً بتصديها للعمل الوطني الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وبحثها عن **البطل** بين صفوفها، **وكان البطل** الذي يشِي به العمل الفني هو «**سعد زغلول**». . هذا المنظور يفسر لنا كيف أن الشعب في بحثه عن البطل الذي يقوده كان هو **البطل الفعلي**، ومن ثم فلم أنظر إلى «محسن» وحده على اعتبار أنه **البطل في الرواية** بل تطلعت إلى «الشعب» بوصفه البطل الحقيقي المحرك لشخصيات الرواية». (ص: 81).

إن سبب هذا التردُّد راجع دائماً إلى عدم تحديد مفهوم البطل الذي يريد الناقد أن يبحث عنه، هل هو الشخصية الرئيسية في الرواية؟ وهنا لا بد من اعتبار البطل وحدة بنائية داخل عالم من العلاقات، أي أنه لا يتحدد إلا بالنسبة للوضع المتميز الذي يأخذه ضمن العلاقات القائمة بين مجموع شخصيات الرواية، بحيث يتبين لنا أنه بالإضافة إلى أنه واحد من الشخصيات فهو يحرز على صفة البطولة بالنظر إلى الموقع الأساسي الذي يحتله